مجلة جامعة الملك سعود م١، الآداب (١، ٢)، ص ص ١١٣ - ١٣٣ (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)

ظاهرة التّبادل اللغوي بين المصدر واسمي الفاعل والمفعول

دفع الله عبدالله سليمان

أستاذ مساعد، قسم اللّغة العَربيّة، كليّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. يشير هذا البحث في مقدمته إلى ما تتمتّع به اللّغة العربيّة من غزارة ووفرة في المادّة اللّغوية، كما يشير إلى أهميّة علم النّحو وإلى ما يتمتّع به من مرونة. ومن مظاهر المرونة في قواعد اللّغة ظاهرة التّبادل التي يمكن تطبيقها على كثير من المسائل النّحوية.

وقد ركّز البحث على ظاهرة التّبادل بين المصدر واسمي الفاعل والمفعول، وأورد كثيرًا من الشّواهد التي توضح الآتي:

ا - مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل.
ب - مجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر.
جـ - مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول.
د - مجيء اسم المفعول بمعنى المصدر.

وخَلُص البحث في خاتمته إلى أنّ في ظاهرة التّبادل هذه مرونة واتّساعًا واهتمامًا بالمعنى وتنوّعًا في الأساليب.

مقدمـــة

لا يختلف اثنان في أنّ اللّغة العربيّة من أغنى اللّغات، وأكثرها ألفاظًا وعبارات، وأنّها لغة معبّرة تتوخّى الوضوح، وقد نزل بها كتاب الله الكريم، وعلى الرّغم من أنّ كثيرًا من

كلماتها قد ضاع واندثر، وأنّ كثيراً من شعرها قد فقد ولم يصل إلينا، [1] فإنّ ما تمتلكه اللّغة العربيّة الآن من ألفاظ يعدّ ثروة ضخمة لا يستهان بها.

وبالإضافة إلى هذه الوفرة والغزارة في المادّة اللّغوية، فإن اللّغة العربيّة لغة مرنة تفتح صدرها لتقبُّل الجديد، تستطيع أن تعبر عن كلّ شيء يعترض الإنسان في حياته، بفضل ما تمتاز به من خصائص كالاشتقاق والنحت والمجاز وغيرها.

ومخطيء من يظنّ أنّ نحو هذه اللّغة يقف حجر عثرة في طريق تقدّمها وتطوّرها، ومخطيء من يظّن أنّه لا حاجة بنا إلى هذا النّحو فإن النّحو وإن كان صعب المنال فقد اتفق العلماء على أهميّته وضرورة تعليمه.

قال ابن جنى معرّفًا النّحو: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصّرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتّحقير والتّكسير والإضافة والنّسب والتّركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربّية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها. [2] وقال ابن خلدون بعد ذكر علوم اللّسان العربيّ: «فلابدّ من معرفة العلوم المتعلّقة باللّسان لمن أراد علم الشّريعة، وتتفاوت في التّأكيد بتفاوت مراتبها في التّوفية بمقصود الكلام حسبما تتبينّ في الكلام عليها فنًّا فنًّا، والذي يتحصّل أنّ الأهم المقدّم منها هو على النحو، إذ به تتبينّ أصول المقاصد بالدّلالة...». [3]

---

(١) قال أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم ممّا قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير.» انظر: ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرّحمن بن محمّد الأنباري، نزهة *الألباء في طبقات الأدباء*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت)، ص٢٧؛
وانظر: أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال، أبو بكر جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمّد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، مج٢، ص٤٧٤.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار (القاهرة: طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م)، مج١، ص٣٤.

(٣) عبدالرّحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، *مقدّمة ابن خلدون*، ط٤ (بيروت: دار القلم، ١٩٨١م)، ص٥٤٥.

وها هو المستشرق دي بور يشير إلى روعة علم النّحو قائلا : «أعلم أنّ النحو أثر رائع من آثار العقل العربي، كما فيه دقّة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرّق، وهو لهذا يحمل المتأمّل فيه على تقديره ويحقّ للعرب أن يفتخروا به .»[٤]

ومع هذا الذي قاله هؤلاء العلماء وغيرهم عن أهمّية النّحو فإن بعضًا من المحدثين يَرَوْنَ أن كثيرًا من قضايا النّحو ونظرياته قد أحالته إلى عقد صعبة الحلّ عسيرة الفهم[٥] كنظريّة العامل وما تجرّه من ورائها من علل وأقيسة، ولهذا نجدهم يدعون إلى إلغاء العلل والتّمارين غير العمليّة .

ومهما قيل من صعوبة في النّحو، وجفاف في بعض أبوابه فإنّا نلمح مرونة في كثير من مسائله .

ومن مظاهر المرونة في قواعد اللّغة ظاهرة التّبادل، ونعني بالتّبادل تناوب الأحكام النّحويّة بأن يأخذ شيء حكم شيء آخر أو معنى من معانيه أو علامة من علاماته، وينطبق ذلك بالنسبة للشيء الثّاني فيأخذ من الأوّل كلّ ما يتصل به .

ويمكن تطبيق هذه الظّاهرة على كثير من المسائل النّحويّة من ذلك مثلاً :

ا ـ التّبادل بين المفرد والمثنّى والجمع
ب ـ التّبادل بين المذكّر والمؤنّث
جـ ـ التّبادل بين ضمائر التّكلم والخطاب والغيبة
د ـ التّبادل بين المتعّدي واللاّزم
هـ ـ التّبادل بين ما يكون للعاقل وما يكون لغير العاقل

وسوف أتناول — بمشيئته تعالى — هذه المسائل وغيرها في بحوث أخرى؛ أمّا في هذا البحث فأودّ أن ألفت الأنظار إلى ظاهرة التّبادل بين المصدر واسْمَي الفاعل والمفعول .

---

(٤) ت. ج. دي بور، *تاريخ الفلسفة في الإسلام*، نقله إلى العربيّة محمّد عبدالهادي أبو ريدة، ط٤ (القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، ص٥٧ .

(٥) أبو العبّاس أحمد بن عبدالرّحمن بن محمد بن مضاء (ت٥٩٢هـ)، *كتاب الرّد على النحاة*، تحقيق شوقي ضيف، ط١ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ص١ .

التّبـادل بين المصدر واسم الفاعل

مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل

قد جاء اسم الفاعل في صورة المصدر كثيرًا في كلام العرب، وبخاصّة الثّلاثي، فقد قالـوا: ماء غور أي غائر، ورجل عدل أي عادل، وقالوا: أتيته ركضًا،[٦] أي راكضًا، (ورجل عدل وصوم أي صائم)،[٧] ومفازة قفر أي مقفرة، وكقولهم: ما أنت إلا نوم وما زيد إلا أكل وشرب وإنما أنت دخول وخروج،[٨] وقالت العرب: بنو فلان لنا سلم أي مسالمون، وحرب أي محاربون.[٩]

قال سيبويه: «ويقع على الفاعل، وذلك قولك يوم غَمّ ورجل نوم، إنما تريد النّائم والغامّ.»[١٠]

وقال الشاعر:[١١]

فإنْ ترفقي يا هند فالرّفق أيمن وإنْ تخرقي يا هنـد فالخـرق ألأم
فأنت طلاق والـطّلاق عزيمة ثلاثـا ومـن يخرق أعـق وأظـلم

فأتى بلفظ الطّلاق وهو مصدر، وأراد اسم الفاعل وهو طالق. وقد تعرّض ابن يعيش لهذين البيتين، ومهّد لهما بتعليق قارن فيه بين قولهم: (أنت طالق) وقولهم: (أنت طلاق) فقال

---

(٦) موفّق الـدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ)، *شرح المفصل* (بيروت: عالم الكتب، والقاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت.)، مج٣، ص٥٠؛ مج٦، ص٥٠.

(٧) رضي الـدين محمـد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، *شرح الشافية* (بيروت: دار الكتب العلميّة، **١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م**)، مج١، ص١٧٦.

(٨) أبو بكر جلال الدين السّيوطي، *الأشباه والنّظائر في النّحو*، تحقيق طه عبدالرءوف سعد (القاهرة: مكتبة الكلّيات الأزهرية، **١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م**)، مج١، ص٨٤.

(٩) أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٣٠هـ)، *فقه اللّغة وسر العربية*، تحقيق مصطفى السّقا إبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، ط٣ (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، **١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م**)، ص٣٤.

(١٠) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٨هـ)، *كتاب سيبويه*، تحقيق عبدالسّلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، مج٤، ص٤٣.

(١١) موفّق الـدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ)، *شرح المفصّل* (بيروت: عالم الكتب؛ القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت)، مج١، ص١٢.

«ومن ذلك مسائل الطّلاق إذا قال: أنت طالق طلّقت منه وإن لم ينو، ولو أتى بلفظ المصدر فقال: أنت طلاق لم يقع الطّلاق إلاّ بنيته، لأنّه ليس بصريح، إنّما هو كناية على إرادة إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل، على حدّ ماء غور أي غائر.»[١٢] ومن ذلك قول الخنساء:[١٣]

ترتع ما رتعت حتّى إذا ادّكرت فإنّما هي إقبال وإدبار

علّق سيبويه على بيت الخنساء بقوله: «فجعلها الإقبال والإدبار فجاز على سعة الكلام، كقولك: نهارك صائم وليلك قائم.»[١٤] (فهذه المصادر كلّها ممّا وصف بها للمبالغة، كأنّهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه، وقالوا: رجل عدل ورضا وفضل، كأنه لكثرة عدله والرّضا عنه وفضله جعلوه العدل والرضا نفسهما، ويجوز أن يكونوا وصفوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعا فَعَدْلٌ بمعنى عادل، وماء غور بمعنى غائر ورجل صوم بمعنى صائم.)[١٥]

وقد كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة، قال المبرّد: «ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسدّ مسدّه فيكون حالا، لأنّه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه، وذلك قولهم: قتلته صبرا، إنما تأويله صابرا أو مصبرا وكذلك جئته مشيا، لأنّ المعنى جئته ماشيا . . .»[١٦]

وقد وضع سيبويه بابا سمّاه: (هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنّه حال وقع فيه الأمر، فانتصب، لأنّه موقوع فيه الأمر)، قال فيه: « . . . وذلك قولك: قتلته صبرا ولقيته فجاءة ومفاجأة وكفاحا ومكافحة، ولقيته عيانا، وكلّمته مشافهة وأتيته ركضا وعدوا ومشيا، وأخذت ذلك عنه سمعا وسماعا . . . .»[١٧]

---

(١٢) ابن يعيش، *شرح المفصل*، مج١، ص١٢.
(١٣) *ديوان الخنساء* (بيروت: دار صادر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، ص١٨.
(١٤) سيبويه، *الكتاب*، مج١، ص٣٣٧.
(١٥) ابن يعيش، *شرح المفصل*، مج٣، ص٥٠.
(١٦) أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد (ت٢٨٥هـ)، *المقتضب*، تحقيق محمّد عبدالخالق عضيمة (بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٣م)، مج٣، ص٢٣٤.
(١٧) سيبويه، *الكتاب*، مج١، ص٣٧٠.

وقد وضّح السيرافي قول سيبويه هذا حين قال: «مذهب سيبويه في أتيت زيدا مشيا وركضا وعدوا وماذكره معه، أنّ المصدر في موضع الحال، كأنّه قال: أتيته ماشيا وراكضا وعاديا... ولقيته مفاجئًا ومكافحا ومعاتبا، وكلمته مشافها، وأخذت ذلك عنه سامعا....»(١٨)

وقد ورد مثل ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾(١٩) أي غائرا؛(٢٠) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾(٢١) أي ساعيات، مسرعات كما قال الزّمخشري.(٢٢) وعلق أبو حيان على كلمة (سعيا) بقوله «وانتصاب (سعيا) على أنّه مصدر في موضع الحال من ضمير الطيور أي ساعيات.»(٢٣) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾،(٢٤) أي الموسوس؛(٢٥) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾،(٢٦) وقد علّق الزمخشري على هذه الآية بقوله: «قوله ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها، زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر.(٢٧)

---

(١٨) أبو سعيد الحسن بن عبدالله السّيرافي (ت٣٦٨هـ)، شرح *كتاب سيبويه*، مخطوط نسخة المضري، (اسطنبول: مكتبة سليم أغا، رقم ١١٥٩ (ن) نسخة مصوّرة من المخطوط بحوزة عوض القوزي، كلية الآداب، جامعة الملك سعود)، مج٢، ص٢٢.

(١٩) سورة الملك، آية ٣٠.

(٢٠) أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، *الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، مج٤، ص٥٨٣.
وانظر: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور، *اللّسان*، مادة غور.

(٢١) سورة البقرة، آية ٢٦٠.

(٢٢) *الكشّاف*، مج١، ص٣١٠.

(٢٣) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف، *البحر المحيط* (الرياض: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، د.ت.)، مج٢، ص٣٠٠.

(٢٤) سورة النّاس، آية ٤.

(٢٥) أبو حيان، *البحر المحيط*، مج٨، ص٤٩٣.

(٢٦) سورة الكهف، آية ٤٠-٤١.

(٢٧) الزمخشري، *الكشاف*، مج٢، ص٧٢٣.

وعلى الرّغم من ورود الوصف بالمصدر كثيرًا في كلامهم، وعلى الرّغم من اعتراف بعض النّحويّين بذلك، كابن مالك حين قال: [٢٨]

ونــعــتــوا بمـصـــدر كثــيرًا فالـتــزمــوا الإفــراد والتّــذكــيرا

على الرّغم من ذلك كلّه فإنّ كثيرا من النّحويين لا يبيحون قياس الوصف بالمصدر، وإنّما يقصرونه على السّماع (وهذا عجيب منهم فكيف يكون كثيرا، ثمّ يكون في الوقت نفسه مقصورًا على السّماع لا يقاس عليه؟[٢٩] وكذلك الحال بالنّسبة للمصدر الذي يقع حالا، فعلى الرّغم من قول ابن مالك: [٣٠]

ومـصــدر منكّــر حالا يقــع بكــثــرة كبــغــتــةً زيْد طلع

فإنّا نجد الأشموني يعلّق على هذا البيت بقوله: «مع كون المصدر المنكّر يقع حالا بكثرة هو عندهم مقصور على السّماع.»[٣١] انظر إلى عبّاس حسن يعلّق على قول الأشموني بقوله فأي اضطراب وتناقض كهذا، وما عسى أن تكون الحقيقة في أمر الكثرة والقلّة المتحكّمتين في اللّغة والنّحو عند غير الكوفيّين.»[٣٢]

كما نجد سيبويه ذهب أيضا إلى عدم اطراد القياس في وقوع المصدر حالا، وذلك حين قال: «وليس كلّ مصدر وإنْ كان في القياس مثل ما مضى من هذا الباب يوضع هذا الموضع، لأنَّ المصدر هاهنا في موضع فاعل إذا كان حالا، ألا ترى أنه لا يحسن أتانا سرعة ولا أتانا رجلة.»[٣٣]

---

(٢٨) محمّد بن عبدالله بن مالك الأندلسي، *ألفيّة ابن مالك في النّحو والصّرف* (القاهرة: مكتبة القاهرة، د. ت.)، ص٤٥.

(٢٩) أحمد مختار عمر، من *قضايا اللّغة والنّحو*، (القاهرة: عالم الكتب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ص٢٢٠.

(٣٠) ابن مالك، ألفية، ص٣٢.

(٣١) أبو العرفان محمد بن علي الصّبان، حاشية *الصّبان على شرح الأشموني على الألفية* (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، د. ت.)، مج٢، ص١٧٣.

(٣٢) عباس حسن، *اللّغة والنّحو بين القديم والحديث* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م)، ص٤٤.

(٣٣) سيبويه، *الكتاب*، مج١، ص٣٧٠.

وعلى الرّغم من قول سيبويه هذا فإنّنا نجد المبرّد يجيز القياس في كلّ شيء دلّ عليه الفعل نحو أتانا سرعةً وأتانا رجلةً، قال المبرّد:[٣٤] «ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسدّ مسدّه فيكون حالا، لأنه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه وذلك قولهم: قتلته صبرا، إنّما تأويله صابرا أو مصبرا، وكذلك جئته مَشْيًا، لأن المعنى: جئته ماشيا. . . ولو قلت: جئته إعطاء لم يجز، لأنَ الإعطاء ليس بالمجيء، ولكن جئته سعيا فهذا جيد؛ لأنّ المجيء يكون سعيا، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.»[٣٥]

وعلق الشيخ عضيمة على قول المبرّد هذا بقوله: «كلام المبرّد هنا صريح في أنّ المصدر المنكّر يقع بقياس حالاً إذا كان نوعًا من فعله.»[٣٦] والذي قاله الشيخ عضيمة هو نفسه ما أشار به بعض العلماء. قال الأشموني: «وقاسه المبرّد: فقيل مطلقًا، وقيل فيما هو نوع من عامله نحو جاء زيد سرعة وهو المشهور عنه.»[٣٧]

وقال صاحب *التّصريح*: «وقاسه المبرّد فيما كان نوعًا من العامل منه؛ لأنه حينئذ يدلّ على الهيئة بنفسه فأجاز قياسًا: جاء زيد سرعة، لأنّ السّرعة نوع من المجيء، ومنع: جاء ضحكًا لأنّ الضحك ليس نوعًا من المجيء.»[٣٨]

ويتضح ممّا أوردناه من كلام العرب والعلماء ومن الشّواهد الشّعرية والقرآنية صحة مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل. وفي الحقيقة خير ما يحتجّ به في ذلك القرآن الكريم الذي أجمع العلماء على أنّه في أعلى درجات البلاغة والفصاحة، ولذا فلا يصح لأيّ شخص مهما يكن أن ينكر الاستشهاد به؛ انظر إلى العلماء ماذا قالوا عنه، قال السّيوطي: «قال ابن خالويه: قد أجمع النّاس جميعًا على أنّ اللّغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غير القرآن، لاخلاف في ذلك،[٣٩] وقال أحمد مكي الأنصاري: «قال الدماميني: إن العربية تؤخد

---

(٣٤) أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد، *المقتضب*، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة (بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٣م)، مج٣، ص٢٣٤.
(٣٥) سورة البقرة، آية ٢٦٠.
(٣٦) المبرد، *المقتضب*، مج٣، هامش ص٢٣٤.
(٣٧) الصّبان، *حاشية الصّبّان على الأشموني*، مج٢، ص١٧٣.
(٣٨) خالد بن عبدالله الأزهري، *شرح التّصريح على التّوضيح*، ط٣ (القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، مج١، ص٣٧٤.
(٣٩) السيوطي، *المزهر*، مج١، ص٢١٣.

من القرآن المعجز بفصاحته وكيف يجوز الاحتجاج والأخذ بأقوال نقلها عن العرب من لا يعتمد لجهله أو عدم عدالته أو لجهالة علمه وعدالته وترك الأخذ والتمسك بها ثبت تواتره عمّن ثبتت عصمته عن الغلط وهو رسول الله صلّى الله عليه وسلم . »(٤٠) وإذا كان هذا كلام العلماء في القرآن الكريم فإنّ ما أوردناه من الشّواهد القرآنيّة دليل على إثبات ظاهرة التّبادل بين المصدر واسم الفاعل .

وإذا وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجرى مجراه فيجوز لك فيه وجهان :

١ ـ أن تتركه مفردًا وتصف به المفرد والمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث فتقول : «أنت طلاق وأنتما طلاق وأنتم طلاق وهذا رجل عدل ورجال عدل ونسوة عدل . »(٤١)

وقد خطّأ السُّيوطي من يقول للمرأة عزبة بالتّاء فقال : «إنّما يقال رجل عزب وامرأة عزب ، لأنّه مصدر وصف به فلا يثنّى ولا يجمع ولا يؤنّث كما يقال رجل خصم وامرأة خصم . . . . »(٤٢) وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتذكيرا(٤٣)

وقد أشار بعضهم إلى أنّ الوصف بالمصدر مؤوّل بأحد ثلاثة تأويلات :(٤٤)

ا ـ أنّ المصدر الدّال على الحدث أطلق وأريد منه المشتق الذي هو الدال على الذات ، وهذا مجاز من باب إطلاق المعنى وإرادة محلّه .
ب ـ أنّه على تقدير مضاف وهو على هذا مجاز بالحذف .
جـ ـ أنّه على المبالغة .

---

(٤٠) أحمد مكي الأنصاري ، *الدفاع عن القرآن ضدّ النحويين والمستشرقين* (القاهرة : دار المعارف ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٨٣م) ، القسم الأول ، ص١٨٨ .
(٤١) ابن يعيش ، شرح *المفصّل* ، مج١ ، ص١٢ .
(٤٢) السيوطي ، *الأشباه والنظائر* ، مج٤ ، ص١٦٣ .
(٤٣) ابن مالك ، *ألفيته* ، ص٤٥ .
(٤٤) ابن عقيل ، شرح *الألفية* ، مج١ ، هامش ص٢٠١ .

٢ ـ أن تثنّيه وتجمعه فتقول: هذان عدلان، وهؤلاء عدول، ومما جاء على ذلك قول الشّاعر: (٤٥)

وبايعت ليلى في خلاء ولم يكن شهـود على ليلى عدول مقـانـع

وقد علّق ابن يعيش على ذلك بقوله: «فجمع عدلاً ومقانعًا.»(٤٦) وفي مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل في نظرنا مرونة واتّساع.

مجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر

قد ورد في كلام العرب اسم الفاعل بمعنى المصدر كقولهم: قم قائمًا. والمعنى — كما قال المبرّد — قم قيامًا: (٤٧) واقعد قاعدًا أي قعودًا، (٤٨) كما يقال الفاضلة بمعنى الفضل والإفضال، والعافية بمعنى المعافاة، وكقولهم: فلانة حسنة الدالّة، أي الدّلال، (٤٩) وقد جاء مثل هذا في الشّعر، قال الفرزدق: (٥٠)

ألم ترني عاهـدت ربّي وإنّني لبـين رتـاج قائـم ومـقـام
على حلفـة لا أشتم الدّهر مسلمًا ولا خارجًـا من فيّ زور كلام

وقد علّق سيبويه على البيت الأوّل بقوله: «فإنما أراد: ولا يخرج فيما استقبل، كأنه قال: «ولا يخرج خروجًا.»(٥١) إذن فقوله «خارجًا» — عند سيبويه — مصدر حذف عامله، والتقدير: لا أشتم شتمًا الدّهر، ولا يخرج خروجًا من فمي زور كلام. (٥٢)

---

(٤٥) قيس بن الملوح، *ديوان مجنون ليلى*، جمع وتحقيق وشرح عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: دار مصر للطباعة، د. ت.)، ص١٨٦.

(٤٦) ابن يعيش، *شرح المفصل*، مج١، ص١٣.

(٤٧) المبرّد، *المقتضب*، مج٣، ص٢٦٩.

(٤٨) ابن يعيش، *شرح المفصّل*، مج٣، ص٥٠.

(٤٩) ابن يعيش، *شرح المفصل*، مج٦، ص٥٣.

(٥٠) *ديوان الفرزدق* (بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، مج٢، ص٢١٢.

(٥١) سيبويه، *الكتاب*، مج١، ص٣٤٦.

(٥٢) رضى الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، *شرح الشّافية* (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، مج١، ص١٧٧.

وعلى الرغم من أنّ عيسى بن عمر يجعل (خارجًا) حالاً،[٥٣] فإن المبرّد وابن هشام يؤيّدان سيبـويه، قال ابن هشام بعد أن أورد بيتي الفرزدق: «والذي عليه المحقّقون أنّ (خارجًا) مفعول مطلق والأصل: ولا يخرج خروجًا تم حذف الفعل وأناب الوصف عن المصدر كما عكس في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾»[٥٤] وقال المبرّد: «إنما أراد لا أشتم ولا يخرج من فيّ زور كلام، فأراد ولا خروجًا فوضع (خارجًا) في موضعه.»[٥٥] وكقول سحيم:[٥٦]

عمـيرة ودّع إن تجهـزت غازيا كفى الشّيب والإسـلام للمـرء ناهيا

فكلمة (ناهيا) وإن جاءت على وزن فاعل، إلاّ أنّها يصّح أن تكون بمعنى المصدر. انظر إلى ابن جنّي حين قال: «فالقول أن يكون (ناهيًا) اسم الفاعل من نهيت، كساع من سعيت وسارٍ من سريت، وقد يجوز أن يكون ناهيًا هنا مصدرًا كالفالح والباطل والغائر والباغز ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على فاعل، حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهيًا وردعًا.»[٥٧]

ولم يقف مجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر في أقوال العرب وأشعارها فحسب، وإنّما وجدناه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾،[٥٨] أي بقاء.[٥٩] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾،[٦٠] قال الزمخشري: «قوله على خائنة على خيانة

---

(٥٣) الأستراباذي، *شرح الشافية*، مج١، ص١٧٧.

(٥٤) أبو محمد عبد بن يوسف بن هشام الأنصاري، *مغني اللّبيب عند كتب الأغاريب*، تحقيق محمّد محيى الدين عبدالحميد (القاهرة: الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ومطبعة المدني، د. ت.)، رقم الشّاهد ٦٥٥، ص٤٠٥.

(٥٥) المبرّد، *المقتضب*، مج٣، ص٢٦٩.

(٥٦) *ديوان سحيم عبـد بني الحسحـاس*، تحقيق الأستـاذ عبدالعزيز الميمني (القاهرة: الدّار القومية للطّباعة والنّشر ١٩٦٥م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م)، ص١٦.

(٥٧) ابن جني، *الخصائـص*، مج٢، ص٤٨٩.

(٥٨) سورة الحاقة، آية ٨.

(٥٩) الزمخشري، *الكشاف*، مج٤، ص٦٠٠؛ وانظر: *اللسان*، مادة بقى.

(٦٠) سورة المائدة، آية ١٣.

أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة . . . وقريء على خيانة . »[٦١] قال تعالى : ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾ ،[٦٢] أي لغـوًا ،[٦٣] وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[٦٤] بمعنى التّكـذيب . انظر إلى أبي حيان حين قال : «وقال قتادة والحسن : المعنى ليس لها تكذيب ولارد ولا منثوية ، فكاذبة على هذا مصدر كالعاقبة والعافية . » ؛[٦٥] وقال تعالى : ﴿ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾[٦٦] أي بطغيانهم ، كما ورد في قول أبي حيان حين قال : «وقال ابن عباس وابن زيد أيضًا وأبو عبيدة مامعناه : الطاغية مصدر كالعاقبة فكأنه قال بطغيانهم ويدّل عليه ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ . »[٦٧]

وبعـد ، فهـذه الشّـواهـد القرآنية تكفي لوجود التّبادل اللّغوي بين المصدر واسم الفاعل ، وفي ذلك دليل على مرونة اللّغة .

التّبادل بين المصدر واسم المفعول

مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول

يستعمل المصدر بمعنى المفعول كثيرا في كلام العرب ، قال السّيرافي : «وأما الحُذْيا والسّقيا فمصدران في الأصل مثل الفتيا والرّجعى وإن كانا قد وقعا على المفعول ، لأنّ المصدر قد يقـع على المفعـول كقولهم : درهم ضَرْبٌ في معنى مضروب ، وأنت رجائي في معنى مرجـوّي ، واللهم اغفر لنا علمك فينا أي معلومك من ذنوبنا . »[٦٨] وهذا خلق الله أي

---

(٦١) الزّمخشري ، *الكشّاف* ، مج١ ، ص٦١٦ ؛ وانظر *البحر المحيط* ، لأبي حيان ، ج٣ ، ص٤٤٦ ، وانظر : سليمان بن عمر العجيلي الجمل ، *الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية* (القـاهـرة : مطبعـة عيسى البابي الحلبي ، د . ت .) ، مج١ ، ص٤٧٢ حين قال : «إنها مصدر كالعافية والعاقبة ويؤيد هذا الوجه قراءة الأعمش : على خيانة . »

(٦٢) سورة الغاشية ، آية ١١ .

(٦٣) الزمخشري ، *الكشّاف* ، مج ٤ ، ص٧٤٣ ؛ وانظر : أبو حيان ، *البحر المحيط* ، مج٨ ، ص٤٩٣ ؛ *واللّسـان* ، مادة لغا .

(٦٤) سورة الواقعة ، آية ٢ .

(٦٥) أبو حيان ، *البحر المحيط* ، مج٨ ، ص٢٠٣ ؛ وانظر : *اللّسـان* ، مادة كذب ، وانظر : ابن يعيش ، *شرح المفصّل* ، مج٦ ، ص٥٢ .

(٦٦) سورة الحاقة ، آية ٥ .

(٦٧) أبو حيان ، *البحر المحيط* ، مج٨ ، ص٣٢١ ؛ وانظر : *اللّسان* ، مادة طغى .

(٦٨) عبـدالمنعم فائـز ، *السّيرافي النّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه* ، ط١ (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص١٢٧ .

مخلوقه. (٦٩) قال سيبويه: «وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك قولك: لبن حلب إنما يريد محلوب وكقولهم الخلق إنما يريد المخلوق، ويقولون للدّرهم: ضَرْب الأمير، إنّما يريدون مضروب الأمير.»(٧٠)

ومن ذلك الهوى بمعنى المهوى في قول الشّاعر:

هواي مع الـرّكب اليمانـين مصعـد　　جنـيب وجـثـماني بمـكّـة موثـق

قال صاحب *اللّســان*: والهوى أيضًا بمعنى المَهْوِيّ، قال أبو ذؤيب:

زجـرت لها طير السّـنيح فإن تكن　　هواك الـذي تهوى يُصِبْك اجتنابها(٧١)

ومن ذلك كلمة (ردّ) وهي مصدر بمعنى (مردود) وهي اسم مفعول في قول الرّسول صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ،»(٧٢) أي مردود. (٧٣)

أمّا الآيات التي جاءت على هذا المنوال فكثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾(٧٤) أي من معلوماته. كما أشار الزمخشري في *كشافــه*،(٧٥) وقوله دكّا — على قراءة أبي عمـرو— في قولـه تعـالى: ﴿ **قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ**

---

(٦٩) ابن يعيش، *شرح المفصّل*، مج١، ص١٦؛ مج٦، ص٥٠.
(٧٠) سيبويه، الكتاب، مج٤، ص٤٣.
(٧١) ابن منظور، *اللسـان*، مادة هوى؛ وانظر: *ديوان الهذليّين* (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، القسم الأول، ص٧٠.
(٧٢) الإمـام أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النّووي، *رياض الصّالحين* (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٧٣؛ وانـظر كذلـك: محمّد ناصر الدّين الألباني، *صحيح الجامع الصغير*، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، مج٥، الحديث رقم ٥٨٤٦، ص٢٣٠.
(٧٣) انظر، *اللّســان*، مادة ردد.
(٧٤) سورة البقرة، آية ٢٥٥.
(٧٥) الزمخشري، *الكشاف* (بيروت: دار الكتاب العربي)، مج١، ص٣٠١.

دَكَّآءَ﴾، (٧٦) قال الزمخشري (دكًّا) أي مدكوكًا مبسوطًا مسوّى بالأرض، وكلّ ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندكّ.» (٧٧)

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ (٧٨) أي مخلوقه، (٧٩) وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ . .﴾، (٨٠) أي المصيد، (٨١) إلى غير ذلك من الشّواهد التي توضّح مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول.

مجيء اسم المفعول بمعنى المصدر

ورد المصدر على صورة المفعول في كلام العرب، من ذلك قولهم: حلفت محلوفًا وكذلك المعقول والميسور والمعسور والمجلود. (٨٢) وأمّا ما جاء بلفظ المفعول قولهم الميسور والمعسور والمرفوع والموضوع والمعقول والمجلود، فأكثر النّحويين يذهبون إلى أنّها مصادر جاءت على مفعول، فالميسور بمعنى اليسر والمعسور بمعنى العسر، يقال: دعه إلى ميسوره وإلى معسوره أي إلى زمن يسره وعسره والمرفوع والموضوع بمعنى الرّفع والوضع وهما ضربان

---

(٧٦) سورة الكهف، آية ٩٨.

(٧٧) الزّمخشري، *الكشّاف*، مج٢، ص٧٤٨؛ وقال أبو حيّان في *البحر المحيط*: «وقرأ الكوفيون دكاء بالمدّ ممنوع من الصّرف وباقي السّبعة دكًا منونة مصدر دككته،» مج٦، ص١٦٥. وانظر ابن خالويه: *الحجة في القراءات السبع*، ط٢ (بيروت: دار الشروق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص١٦٣؛ وانظر: أبو عمرو عثمان بن سعيدان الداني، *كتاب التيسير في القراءات السبع* (استانبول: مطبعة الدولة، ١٩٣٠م)، ص١٤٦.

(٧٨) سورة لقمان، آية ١١.

(٧٩) الزمخشري، *الكشاف* (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت.)، مج٤، ص٤٩٢؛ وانظر: أبو حيان، *البحر المحيط*، مج٧، ص١٨٥.

(٨٠) سورة المائدة، آية ٩٥.

(٨١) جاء في *اللّسان*، مادة صيد: «وقد يقع الصيد على المصيد نفسه تسمية بالمصدر كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، وقد جاءت كلمة الصّيد كذلك في الآية الأولى من سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ . . . غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ . . . ﴾. ة وعلّق أبو حيان على كلمة الصيد بقوله: «الصّيد مصدر صاد يصيد ويصاد ويطلق على المصيد»؛ *البحر المحيط*، مج٣، ص ص٤٠٩-٤١٠؛ وانظر: سليمان بن عمر العجيلي، *الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية* (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي)، مج١، ص ص٤٥٧-٥٢٤.

(٨٢) السّيوطي، *المزهر*، مج٢، ص٢٤٦.

من السّير:[٨٣] والمجلود: الجلد أي الصّبر،[٨٤] ومثله المعقول بمعنى العقل، يقال (ماله معقول) أي عقل.[٨٥]

وكان رأي سيبويه مخالفًا لرأي هؤلاء، إذ أنكر أن يجيء المصدر على وزن المفعول، انظر إلى سيبويه حين قال: «وأمّا قوله: دعه إلى ميسوره ودع معسوره، فإنما يجيء هذا على المفعُول كأنه قال: دعه إلى أمر يوسر فيه أو يعسر فيه، وكذلك المرفوع والموضوع كأنه يقول: له ما يرفعه وله ما يضعه، وكذلك المعقول كأنه قال: عقل له شيء أي حبس له لبه وشدد، ويستغني بهذا عن المفعل الذي يكون مصدرًا، لأنّ في هذا دليلاً عليه.»[٨٦] وقد أشار الرضى إلى أنّ سيبويه — في قوله هذا — قد جعل الميسور والمعسور صفة للزمان أي الزمان الذي يوسر فيه ويعسر فيه،[٨٧] وهو الفهم نفسه الذي فهمه ابن يعيش من قول سيبويه.[٨٨] وعلى الرغم من رأي سيبويه هذا فقد ورد من الشّعر والقرآن ما يؤيّد رأي غيره ولكنه قليل، قال الشّاعر:

فقـد أفادت لهم حلمًا وموعظة لمن يكـون له إرب ومـعقـول[٨٩]

أي عقل.[٩٠] وقال طرفة:

موضـوعهـا زول ومـرفـوعهـا كمـرّ صوب لجب وسط ريح[٩١]

فالموضـوع والمـرفـوع بمعني الرّفع والوضع وهما ضربان من السّير.[٩٢] وقد وردت كلمة (معقول) بمعنى (عقل) في قول الرّاعي النّميري:

---

(٨٣) ابن يعيش، *شرح المفصل*، مج٦، ص٥٢.
(٨٤) الرّضى، *شرح الشّافية*، مج١، ص١٧٤.
(٨٥) ابن منظور، *لسان العرب*، مادة عقل.
(٨٦) سيبويه، *الكتاب*، مج٤، ص٩٧.
(٨٧) الرّضى، *شرح الشّافية*، مج١، ص١٧٥.
(٨٨) ابن يعيش، *شرح المفصّل*، مج٦، ص٥٢.
(٨٩) ابن منظور، *لسان العرب*، مادة عقل.
(٩٠) ابن منظور، *لسان العرب*، مارة عقل.
(٩١) *ديوان طرفة مع شرح الأعلم الشنتمري* (شالون: مطبعة نرطرند، ١٩٠٠م)، ص١٥٠.
(٩٢) ابن يعيش، *شرح المفصّل*، مج٦، ص٥٢؛ وانظر: *اللسان*، مادة رفع.

حتّى إذا لم يتركـوا لعـظامـه   لحمًا ولا لفـؤاده معـقـولا.[٩٣]

كما وردت كلمة (مصاب) بمعنى الإصابة،[٩٤] في قول الحارث بن خالد المخزومي:

أظـلوم إنّ مصـابكم رجـلاً   أهـدى السّـلام تحية ظلم.[٩٥]

وكقول رؤية بن العجّاج:

إن المـوقـي مثـل ماوقـيت   أنـقـذني من خوف ما خشيت[٩٦]

وقد علّق سيبويه على قول رؤبة بقوله: «يريد التّوقية،»[٩٧] ووضّح ابن يعيش الشاهد في بيت رؤبـة بقـولـه: «الشّـاهـد فيه استعـمال (المُوقَى) بمعنى التّوقية أي أن التوقية مثل توقيتي،»[٩٨] وكقول مالك بن أبي كعب:

أقـاتـل حتى لا أرى لي مقـاتَـلا   وأنجـو إذا غمّ الجبـان من الكـرب[٩٩]

قال ابن يعيش: «والشـاهـد فيه استعـمال مقـاتَل بمعنى القتال...»[١٠٠] وقال الأعلم: «الشّـاهـد فيه قولـه: مقـاتـلاً يريد قتـالاً فبناه بنـاء المفعـول... ويجوز أن يريد اسم الموضع...»[١٠١] ولكن ابن جني يرجح أن يكون «مقاتلا» مصدرًا، وذلك حين قال: «وأما

---

(٩٣) *ديوان الرّاعي النّميري*، جمعه وحقّقه رايتهرت فايبرت (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية فِيْسَيدان فرانتش شتاينر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص٢٣٦.

(٩٤) ابن منظور، *لسان العرب*، مادة صوب.

(٩٥) شعـر *الحـارث بن خالـد المخـزومي*، تحقيق يحيى الجبـوري، ط١ (بغـداد: منشورات مكتبة الأندلس، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ص٩١.

(٩٦) *ديوان أشعار العرب*، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجّاج، صحّحه وليم بن الورد البروسي (مدينة كيسنغ ـ طبع بآلات دروغولين سنة ١٩٠٣م؛ يطلب من مكتبة المتنبي)، ص٢٥.

(٩٧) سيبويه، *الكتـاب*، مج٤، ص٩٧.

(٩٨) ابن يعيش، *شرح المفصـل*، مج٦، ص٥٥.

(٩٩) *ديوان كعب بن مالـك الأنصـاري*، دراسـة وتحقيق سامي مكّي العاني، ط١ (بغداد: مطبعة المعارف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص١٨٤؛ وانظر: سيبويه، الكتاب، مج٤، ص٩٦.

(١٠٠) ابن يعيش، *شرح المفصل*، مج٦، ص٥٥.

(١٠١) ابن يعيش، *شرح المفصل*، هامش ص٥٥. وانظر: سيبويه، *الكتاب* (بولاق، ١٣١٧هـ)، مج٢، هامش ص٢٥٠.

قوله: . . . حتى لا أرى لي مقاتلا» فمصدر ويبعد أن يكون موضعًا أي حتى لا أرى لي موضعًا للقتال: المصدر هنا أقوى وأعلى.»(١٠٢) ويستشهد هؤلاء على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾(١٠٣) فمن المعاني التي تدل عليها كلمة (المفتون) في الآية: الفتنة،(١٠٤) وقد أشار بعض العلماء إلى أنّ في هذه الآية ثلاثة أوجه:(١٠٥)

١ ـ إنّ الباء زائدة، وأيكم المفتون: مبتدأ وخبر، والمفتون بمعنى المجنون.

٢ ـ إنّ الباء أصلية، وبأيكم جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدّم، والمفتون مبتدأ مؤخر، والمفتون بمعنى المجنون(١٠٦).

٣ ـ إنّ الباء للملابسة، وبأيّكم جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدّم، المفتون مبتدأ مؤخّر، والمفتون مصدر بمعنى الجنون والمعنى: الفتنة ملابسة لأي الفريقين من المسلمين والكفّار.

ويبدو لي أنّ القول الواضح هو من قال: إن الباء للملابسة وأن المفتون بمعنى الفتنة.

وقد وردت كلمة (مكرم) بمعنى (إكرام) في قراءة من القراءات؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.(١٠٧) علق الزمخشري على كلمة (مُكْرم) بقوله: «وقرىء: مُكْرَم بفتح الراء بمعنى الإكرام، إنّه يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة. . . .»(١٠٨) وجاء في *اللّسان*: «قال الأخفش: وقرأ بعضهم: (ومن يهن الله فماله

---

(١٠٢) ابن جني، *الخصائص*، مج١، ص٣٦٨.
(١٠٣) سورة القلم، آية ٦.
(١٠٤) الزمخشري، *الكشاف*، مج٤، ص٥٨٥ـ٥٨٦؛ وانظر: أبو حيان، *البحر المحيط*، مج٨، ص٣٠٩؛ *واللسان*، مادة فتن.
(١٠٥) الزمخشري، *الكشاف*، مج٤، ص ص٥٨٥ـ٥٨٦؛ أبو حيان، *البحر المحيط*، مج٨، ص٣٠٩، *اللسان*، مادة فتن؛ الرضي، شرح *الشافية*، مج١، هامش ص١٧٤.
(١٠٦) الرضي، شرح *الشّافية* (هامش)، مج١، ص١٧٤.
(١٠٧) سورة الحج، آية ١٨.
(١٠٨) الزمخشري، *الكشّاف*، مج٣، ص١٤٩.

من مُكْرَم) بفتح الراء، أي إكرام وهو مصدر مثل: مُخرَج ومُدْخَل.»(١٠٩)

وعلى أية حال فقد ورد اسم المفعول بمعنى المصدر — ولو قليلاً — في كلام العرب، وهذا يدل على مرونة اللّغة.

خاتـــمة البحـــث

١ ـ من الملاحظ كثرة النّصوص التي استشهدنا بها للدّلالة على وجود ظاهرة التّبادل اللّغوي بين المصدر واسمي الفاعل والمفعول، ومن الملاحظ أيضًا أنّ هذه النصوص لم تقف عند الشّعر فحسب، ولا النّثر فقط، ولا القرآن الكريم وحده، وإنّما شملت ذلك كله. وفي ذلك تأكيد لما قاله ابن مالك من أنّ العرب كثيراً ما تنعت بالمصدر، وتأتي بالحال مصدرًا منكّرًا.

٢ ـ إنّ معظم ما استشهدنا به من شعر، إنّما هو لشعراء لا يطعن أحد في حجّيتهم وتوثيقهم، قال الخليل بن أحمد: «الشعراء أمراء الكلام يصرّفونه أنّى شاءوا، وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللّفظ وتعقيده، ومدّ مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتّفريق بين صفاته، واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه وبعثه، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقرّبون البعيد، ويبعدون الغريب، ويحتجّ بهم ولا يحتجّ عليهم.(١١٠)

كما ينبغي الاعتراف بالآيات القرآنيّة التي أوردناها؛ لأنّ القرآن الكريم هو الحجّة البالغة، وهو الذي يبني منه النّحوي قواعده.(١١١) قال السّيوطي: «أمّا القرآن فكلّما ورد أنّه قريء به جاز الاحتجاج به في العربيّة سواء كان متواترًا أم آحادًا أم شاذًّا.»(١١٢)

---

(١٠٩) *اللسـان*، مادة كرم.

(١١٠) حازم بن محمّد بن حسن القرطاجني، *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م)، ص١٤٣.

(١١١) السّيوطي، *الإتقان في علوم القرآن* (بيروت: المكتبة الثّقافية، ١٩٧٣م)، مج١، ص٢.

(١١٢) السّيوطي، *الاقتراح في علم أصول النحو*، تحقيق أحمد صبحي فرات (استانبول: مطبعة كلية الآداب، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص٢٠.

٣ ـ إنّني أرى أن تدرس اللّغة من خلال الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة، وكلام العرب الفصحاء من نثر أو شعر، ولهذا تجدني أتّفق مع عبّاس حسن في تساؤله: لِمَ لا تبيح كثرة هذه الشّواهد قياس الوصف بالمصدر، ولِمَ لا تجعل وقوع المصدر حالاً قياسًا مطّردًا؟

٤ ـ إنّ الذي أشرنا إليه في هذا البحث لا يقلّل من القواعد النّحويّة، وإنّما هو — في نظرنا — قوّة لها، ووصف لها بالمرونة والاتّساع، والقدرة على التّنوّع.

٥ ـ أضف إلى ذلك أن كلّ ما قلناه يتوقّف على استقامة المعنى ووضوحه، والحمل على المعنى كثير في كلام العرب. وقد عقد له ابن جنّي بابًا في كتابه «*الخصائص*»، فقال: «اعلم أنّ هذا الشرح غور من العربيّة بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن، وفصيح الكـلام منثورًا ومنظومًا، كتأنيث المذكّر وتذكير المؤنّث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثّاني على لفظ قد يكون عليه الأوّل أصلاً، كان ذلك اللّفظ أو فرعًا أو غير ذلك.»(١١٣)

ويلاحظ أنّ هذا الذي ذكره ابن جنّي إنّما استفاده من كلام سيبويه حين قال: «لأنّ من كلامهم أن يدخلوا المعنى في الشّيء لا يدخل في مثله.»(١١٤)

إنّ اللّغة العربيّة بقدر اهتمامها بالألفاظ، فإنّها تجعل الأهميّة الكبرى للمعاني، ولهذا نجد سيبويه ركّز على المعنى كثيرًا في كتابه، وأنحى باللاّئمة على النّحويّين الذين يتهاونون بقيمة المعنى إذا ظهر الإعراب.(١١٥)

كما نجد ابن جنّي اهتمّ بذلك، وعقد فصلاً في الردّ على من قال: إنّ العرب اهتمّت بالألفـاظ أكثر من المعاني، قال فيه:(١١٦) «وذلك أنّ العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها وتهذّبها وتراعيها. . . فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرًا في نفوسها. . . فإذا رأيت العـرب قد أصلحـوا ألفاظها وحسّنوها، وحموا حواشيها وهذّبوها، وصقلوا غروبها

---

(١١٣) ابن جنّي، *الخصائص*، مج٢، ص٤١١.
(١١٤) سيبويه، *الكتاب*، مج١، ص١٢٦.
(١١٥) سيبويه، *الكتـاب*، مج٢، ص٨٠.
(١١٦) ابن جنّي، *الخصائص*، مج١، ص ص٢١٥، ٢١٧.

وأرهفـوهـا، فلا تَرَينّ أنّ العنـاية إذ ذاك إنّـما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها وتشريف منها.»

وخلاصة القول فإنّ في ظاهرة التّبادل التي تحدّثنا عنها اهتمامًا بالمعنى، وتوسّعًا وتفنّنًا في الأساليب، ومرونة ودقّة في الأداء، وردًّا على القائلين بأنّ القواعد النّحويّة ما هي إلا حركات شكليّة لا علاقة لها بالمعنى.

The Alternation between the Verbal Noun and the Active and Past Participles in Arabic

Dafalla Abdalla Suleiman
Assistant Professor, Department of Arabic,
College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract: This study points out the richness of the Arabic language, and the significance of its grammar. This grammar is rather flexible and its flexibility is related mainly to the meaning of the sentence. Also, the study points out to this flexibility in the phenomenon of alternation. This phenomenon has been illustrated through the following: a) the use of the infinitive noun in the sense of active participle; b) the use of the active participle in the sense of the infinitive noun; c) the use of the infinitive noun in the sense of the passive participle; d) the use of the passive participle in the sense of the infinitive noun. The study reached the conclusion that the phenomenon of alternation in Arabic can be considered a sign of its flexibility, and makes the style more vivid and clearer.